يا طفلي الحبيب ... تمنيت لو أحفظ لك طفولتك وأدفع الثمن من دمي، لأحفظ للإنسانية روح الصدق والحب والطمأنينة والسلام ...

اليوم لن تفهم ذلك الأسلوب الذي تعارف عليه الناس وأسموه أدباً لأنك لا تؤمن بغير أسلوب روحك الرمزي النقي ... وغداً عند ما تضلك الحياة وتفريك أضواء الوجود ... تفهم وتدرك

وسوف تقول : ليتني ظللت طفلاً لأتمتع بحب أبوي الشامل وأحرك المشاعر بأنغامي العطرة ، وأسيِّر الأقلام بإلهامي ... ليتني ... ليتني ...

ولكن هيهات ...

فبعد أعوام ... أسمع عنك وقد أراك ، فأجد الحياة المادية تسيرك ، وألمح روح الحياة العلوي ينسحب في بطء وحسرة ليتقمص كيان وليد جديد ...

أدام الله لك قلبك بعاطفته البريئة النقية ... ولتتصرف الحياة في كل ما تملك ... عدا قلبك ... عدا قلبك ... لتكون كأبيك تحب لتخلد ...

لما سألتَ والدك: لم مات فرتر؟ أجابك: لأنه أحب وأخفق. فابتسمت ابتسامة عميقة أعمق من فلسفة الوجود لو ارتسمت في شبه بسمة وقلت : «يعني لما الواحد يحب واحدة ولا تكونش مراته تموت» ، فضحك وقال : أجل

فهل علم الوالد أنك تعميم أكثر منه وأنك تضلله بسؤالك آه ... لو قال لك : إنه مات لأنه جعل الحب غاية ، وكان يريد أن ينتصر في المعركة ، فلما انعزل وجد الموت مع الكرامة أشرف من الحياة مع المهانة ، لو قال ذلك ... لارتسمت تلك الحروف في ذهنك مدى الأعوام ولصرت بطل جيلك ...

يا صغيري الحبيب !

إني أتوسم فيك سمات البطولة

وألمح في عينيك شعاع المجد المرتقب

وأرى حركاتك بشير الصراع الحيوي الشريف ...

فعش لأبيك ذكرى خالدة ، ولوطنك شعلة الحب والحق والحرية ...

بهيرة العدوي

من تاريخنا النسوي

أستاذة الصحابة

للأستاذ سعيد الأفغاني

سلخت سنين في دراسة السيدة عائشة كنت فيها حيال معجزة لا يجد القلم إلى وصفها سبيلاً . وأخص ما يبهر فيها : علم زاخر كالبحر بعد غور، وتلاطم أمواج، وسعة آفاق، واختلاف ألوان . فما شئت إذ ذاك من تمكن في فقه أو حديث أو تفسير أو علم بشريعة أو آداب أو شعر أو أخبار أو أنساب أو مفاخر أو طب أو تاريخ ... فإنك واجد منه ما يروعك عند هذه السيدة ، ولن تقضي عجباً من اضطلاعها بكل أولئك وهي لا تتجاوز الثامنة عشرة

ولست بسبيل بيان ذلك الآن ، وإنما أخبرك أني وقعت وأنا أنقب في كنوز المكتبة الظاهرية بدمشق على مجموعة خطية في آخرها رسالة نفيسة للإمام بدر الدين الزركشي الشافعي المصري قصرها على موضوع واحد هو : استدراكات السيدة عائشة على الصحابة

* * *

من خصائص المرء ذي الطبيعة العلمية أن يكون طلعة كثير السؤال ، لا يهدأ له بال حتى يرضي طمأنينته ويجلو لنفسه كل شيء مما يحيط به . وكانت السيدة عائشة بهذه الصفة ، ساعدها على بلوغ ما بلغت من المعرفة أنها ربيت في حجر أبي بكر الصديق أعلم الناس بأنساب العرب وأخبار قبائلها وميزات بطونها ، فحازت من ذلك علماً كثيراً . ثم انتقلت إلى بيت الرسول ومهبط الوحي فكانت أقرب الناس من معين العلم ، فنرفت منه ما لم يتيسر لأحد غيرها لمكانها منه كزوجة ، ولما تفردت به من ذكاء نادر وفكر واسع . وكلما عظم حظ الإنسان من المعرفة كثر تطلعه إلى ما فوقه . أما الجاهل فليس بمعنيٍّ أن يبحث أو أن يسأل ، فإذا أصاب من المعرفة حظاً يطريق العرض كان أبعد الناس عن أن تطلب نفسه مزيداً أو تثير له شكوكاً أو تحدثه بسؤال يسأله

وقد أوردت السيدة على الرسول من الأسئلة فى كل ما مرّ بها من موضوعات : فى الفقه والقرآن والأخبار والنيات وأمور الآخرة ، وفيما يعرض له من أحداث وخطوب ، وما يفد عليه من وفود

الصفحة الأولى من رسالة الاجابة ، وهى من أثمن ما فى قبة الملك الظاهر بدمشق لأنها مسودة المؤلف بخطه نفسه

وبعد انتقال النبى صلى الله عليه وسلم ، كان علم عائشة قد بلغ ذروة الإحاطة والنضج فى كل ما اتصل بالدين من قرآن وحديث وتفسير وفقه ...

ومع حمل الأصحاب إلى الأمصار طائفة صالحة من الأحاديث والأحكام حتى كانوا ثمة مرجع طلاب العلم ورواة الحديث ، بقيت المدينة ـ لأسباب أهمها وجود عائشة ـ دار الحديث ومنبع العلم . فحين يشكل على أهل الأمصار أمر من الأمور ، يكتبون إلى أصحاب رسول الله فى الحجاز يسألونهم عن حكم الله فيه ، فكان هؤلاء إذا فاتهم علم شىء رجعوا إلى علماء بينهم اشتهروا بحمل العلم وفقهه كعبد الله بن عمر وأبى هريرة وعبد الله بن عمرو وعروة وابن الزبير ... تروى عنهم الأحاديث وتنشر الأحكام حتى صاروا مقصد الرواد . ومقام السيدة بينهم مقام الأستاذ من تلاميذه ، فكان عمر بن الخطاب يحيل عليها كل ما تعلق بأحكام النساء أو بأحوال النبى البيتية ، لا يضارعها فى هذا الاختصاص أحد من الرجال ولا النساء

ويصل إلى سمع السيدة عن أولئك العلماء روايات وأحكام على غير وجهها ، فتصحح لهم ما أخطؤوا فيه أو خفى عليهم ، حتى عرف ذلك عنها ، فصار من شك فى رواية أتى عائشة سائلاً ، وإن كان بعيداً كتب إليها يسألها . ومن هنا طار لها ذلك الصيت فى التمكن من العلم ، ورجع إلى قولها كبار الصحابة كأبيها أبى بكر وعمر وابنه وأبى هريرة وابن عباس وابن الزبير ... وصار معاوية فى خلافته يكتب إليها سائلاً عن حكم أو حديث أو شىء من فعل النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يطمئن إلى يقين مما يسمع من غيرها حتى يرد عليه جوابها فيبرد صدره[1] .

وستجد أن خطأ الصحابة كثيراً ما يرجع إلى أنهم حضروا آخر الحديث وفاتهم أوله ، وسترى فى كل ما تستدرك : صحة النظر وصواب النقد وحضور الذهن وجودة النقاش . وأغلب الأسباب فى تخبط الروايات أن الرواة يستنبطون الحكم من الجملة التى حضروها . وكثيراً ما يكون الرسول ذكرها فى معرض حكاية أو إنكار ، وترى ذلك فى مرويات أبى هريرة خاصة .

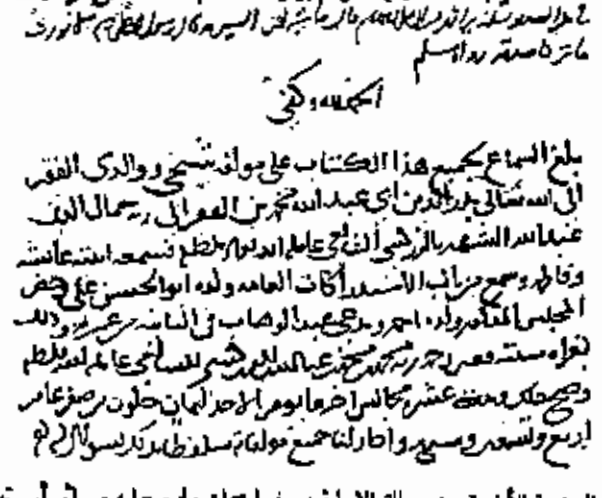

الصفحة الأخيرة من رسالة الاجابة ، وفيها سماع ولده عليه وسائر أسرته

وكما استدركت على أبى هريرة ضياع أول الكلام عليه أو آخره ، استدركت على كثيرين فهمهم لحديث ، أو خطأ استنباط حكم من آية ، أو ضلالاً فى معرفة أسباب النزول ، أو اجتهاداً فيه مشقة على الناس ، وكان الناس يقعون منها فى كل ذلك على علم غزير وفهم حصيف ورأى صائب ، ولا غرو فقد

(١) انظر مسند أحمد ج ٦ ص ٨٧